# الربـــاط القلبــي

## (وربطنا على قلوبهم)

تأليف / د. حمزة فايع الفتحي
جامعة الملك خالد بأبها

الطبعة الأولى
1431هـ - 2010م

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المستهل**

**الحمد لله ، مؤمناً به، ومعترفاً بكريم فضله، وسوابغ آلائه، وأصلي وأسلم على أفضل رسله، وخاتم أنبيائه وعلى آله وصحبه ومن والاه..**

**وبعـــد...**

فثمة آيه قرآنية جذبتني، وهيجت فيَّ منارات التدبر، ونسمات التأمل، فعشت في أفيائها، وسرحت في حدائقها، أعيشها لحظةً بلحظة، وأغدو فيها ناظراً مسروراً، ومنتشياً سعيداً، الأ وهي قوله تعالى في سورة الكهف المتينة، الغاصة بالدروس والعظات العجيبة **(وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ)** وغصتُ في معنى الربط ودلائله وإحاءاته، فوجدته شيئاً مهولاً، وأمراً عجيباً، يستدعي الوقوف عنده، والغوص في بحر إيمانه الزاخر، ومحيط سره الباهر، إنه لشئ عجيب، نسأل الله أن يربط على قلوبنا، ويمدها بنور من عنده، فلا تزل ولا تخشى....

وما أحوج المسلم في هذه الأزمنة المتقلبة، والمنتكسة المفاهيم إلى (**الرباط القلبي)،** الذي يجعله شجاعاً قوياً، ويبعث فيه شعلة العمل والدأب، ويحصّنه من متاهات الانكسار والشهوات، ويدفع به إلى الجد والمقاومة، ويسليه بمباهج الإيمان وأنوار النفوس الزاهية.

إنها لنعمة جُلّى كبيرة، أن ينعم المؤمن (برباط قلبي) وراءه ما وراءه من حلاوة الإيمان، وصدق اليقين، وقوة الثبات، ومتعة الصبر، ووهج العمل والدعوة.

**(إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً) (14) [الكهف]**

إن قصة الشبية المؤمنين، والفتية الصغار من أهل الكهف لنبأ عجيب، غائر في الحسن والموعظة والفائدة، التي تنزل على مسامعنا، وتعيشها القلوب الحية كل أسبوع.

وقد كتب العبد الفقير سالفاً رسالة وجيزة في أسرار تردادها كل جمعة، وكيف إنها خطاب رباني إلهي، يستدعينا للوعي، والعمل والاحتمال والصبر، حينما يذكرنا بأول قصة في هذه السورة الجليلة.... قصة أهل الكهف.

حيث عاش هؤلاء الفتية الأكابر، بإيمانهم محنة الابتلاء ومجافاة الأهل والراحة والنعيم ، وباتوا محصورين من أقرب الناس إليهم، فإما طريقة الملك الظالم، ودينه الوثني، أو غربة المؤمنين، والنهج السالف المندثر، فآثروا ما أراده الله لهم.

حيث قذف فيهم حب الدين، والقصد إلى الله، واللياذ بالسماء، وليس بزخرف الأرض وغرورها !!!
فكان الأمر ، والحال كذلك، لابد وأن تخالط النفس مفزعة، ورعب، وهلع من جراء المحاصرة، والتهديد، واستطعام شدة الغربة، وحرارة النبذ والمقاطعة.
فألقى الله في قلوبهم زهرة الثبات والصبر، فنبت نباتا حسناً، مورقاً مباركاً، أثمر سنابل القوة والرفض والحركة و العمل، مهما كلف ذلك من ثمن، أو دفع الى محنه وبلاء!!
طار الخوف، وزُلزل الرعب، وحل محلّها الإيمان الباسل، وتدفقت فيهم شرايين القوة النابضة بمزاهر الثبات، وأفنان الاستمساك البهيجة.
إنها قصة الثبات الرائعة، وسيرة الاستعصام النادرة، التي يسأل عنها كل مؤمن في زمان المحن، وكثرة التحدي والأشواك..
**وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم خير واعٍ لمثل تلك القصة، حينما كان عند الدعاء، عظيم الرجاء بالكلمة الدعائية الرهيبة:**
**(اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ولما تعجبت أم سلمة من ذلك قال لها (إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ) رواه الترمذي بسند حسن وفي صحيح مسلم (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء، اللهم مصرِّفَ القلوب صرِّف قلوَبنا على طاعتك**).
وفائدة الثبات هنا، كأنه حامٍ للإيمان وجواهره، ولليقين ولآلئه، وللصبر ووقوده، وللعمل وبواعثه، وللقوة ووسائلها، فلا إيمان بلا ثبات، ولا صبر بلا استمساك.
**وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (74) [الإسراء].**
فلكيلا يحصل الوهنَ، وتخور العزيمة، ويتم الركون القليل، يبعث الله في قلوب أوليائه جنة الثبات، فتحميهم من كل غائلة ، وتسوقهم إلى ميادين البذل، والعزيمة، والفداء، فلقد اطمأنت النفس، وسكنت الروح، وتباهى الوجدان، ورفرف اللب على نغمات الحب والنور والآلاء.

**خذوا كلَّ ديناكمُ واتركوا**
**فوآديَ حراً طليقاً حبيبا**
**فإني أعظمكم دولة**

**وإنْ خلتموني وحيداً سليبا**

كم يتمنى المؤمن الثبات، ويسأل الله تعالى بلوغه ونوره وغايته، ليعيش حياة السعداء، وينزل منازل الأصفياء، الذين لا تستفزهم الفتن، ولا تغريهم الشهوات، ولا ترهبهم الأهوال !، بل تجدهم في عزة الرعب أبطالاً ثابتين، وفي شدة الكرب، مغاوير مطمئنين، لا يكترثون لنائبهة، ولا يبالون لرزية **(وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (11) [الانفال]**

فاللهم اربط على قلوبنا، وثبت أقدمنا، وانصرنا عل أنفسنا وأعدائنا، إنك على كل شئ قدير.

وقد كان العبد الفقير، يحضر لتناول هذا الموضوع، درساً أو كتابة، حتى حضرت هذه الآية الكريمة ليلة فرحي بمولودي الجديد (سليل) وفي خضم بكائه، والبهجة به، وقفت على الآية القرآنية، لأعيدَ تدبرها وأعيش حلاوته، وحلاوة قدوم سليل، المولود المبارك، فخالطتني سعادةً غامرة، وأنا أسيح في ظلالها. وأستمتع بصداها العامر، وإيمانها البديع الباهر...

**طلعةٌ ريا وشئٌ باهرٌ أجمالٌ جلَّ أن يُسْمى جمالا** !

أحمدك ربي، حمداً كثيراً طيباً مباركاً، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وصلى الله وسلم على إمام القانتين، وسيد المرابطين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**الأحد 17 / شوال 1431هـ**

**26/9/2010م**

## إيحاءات الرباط القلبي

إنَّ التعبير القرآني (**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ)** ليوحي بجلالة هذا الرباط، وضعف الإنسان، أمام الفتن والخطوب والابتلاءات، ولأن الله تعالى، وقد علم ضعف عباده، تولى بنفسه إحكام هذا الرباط، وأمدهم بنور من عنده، وقذف فيهم من رحماته، وزادهم من بركاته، فأحكم القيد على قلوبهم، وُشدد لهم في الرباط الإيماني، فلا ينفذ إليه ضعف، ولا يختل عزمه، أو يبلى شكله، بل هو رباط متين مَحكَم، قد غشيه الحزم والجودة والإتقان، وتولاه المولى الكريم بنفسه، ليثبت لبني آدم، أن القلوب بيديه، يصرفها كيف يشاء، وليدفع عنهم فتنة الغرور الزائف، عندما ينفصل العبد عن مولاه، ويسهو عن عبادته وذكره، فكل ثبات ذاتي مآله إلى الانهيار، ما لم يُتَّوج بالقربة والرهبة والخشية للبارئ الرحيم تباركِ وتعالى.

**(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) [فاطر]**

**وإيحاء آخر يفيد بخفة القلب، وهشاشته الدالة على هشاشة** ابن آدم، وضعفه، وأنه خليق بالامتلاء الدائم بالذكر، والإنابة، واليقين، وتعليق الفتح، والنصر بالله تعالى.

**وإيحاء ثالث في (ربطنا) تدل على انفلات القلب، كانفلات الوعاء بلا إغلاق والشئ** بلا إحكام، والباب بلا شد وإبرام!!

فقد يربط ابن آدم، ولكنَّ ربط الله غاية الشد والثبات، ومنتهى الراحة والاستقرار، ولا يتم ذلك إلا بحسن الاتباع، وجودة العمل، ودوام التبتل والقربة، حيث يحيا القلب، وتنشط الروح، ويجافي الإنسان مواطن السوء والتغير، التي هي سبب لفك الرباط القلبي، أو تثنَّية وتهتّكه.

فمثلاً الغفلة عن الذكر، وإهمال الواجبات موجبان لقسوة القلب، المورثة الزعزعة والارتباك، الذي سينعكس تماماً على صحة القلب واستقراره.

**وفي ربطنا معنى لتغير القلب السريع، وأنه أعجب شئ في الإنسان، وسر صحوته أو غفلته**، ومن الضروري تعاهده واستصلاحه، كما قال صلى الله عليه وسلم:

**(ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)** أخرجاه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

فقلب إبن آدم ما سُمى قلباً، إلا من تقلبه السريع، وتلونه الحثيث، فكان من اللازم المتعين إحياؤه بالصلاة، والطاعة ودوام الذكر والمراقبة...

**ما سُمي القلب إلا من تقلبهِ فحاذر القلب من سوءٍ وتقلابِ**

وقد جاء في الحديث الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام:

**(إنه ليُغان على قلبي، فأستغفر الله سبعين مرة في اليوم)**

**وفي قوله (ربطنا) احتمالية طروء الفك والاختلال للرباط بفعل المعاصي**، وقطع الشهوات، فالله يوفق المرء للطاعة، وينبهه، ويحذر خطوات الشيطان، لعداوته الأبدية، فإنه يرصده على كل طريق، فإذا ما نسي واتبع هواه، واغتر بالأماني الشيطانية، انحلت عقد ذلك الرباط، وبدا الحبل المحكم، ينفك خيطاً خيطاً، حيث ينتهي تماماً، وتبيت مقاومته الإيمانية ضعيفة هزيلة، يسقط عند أول اختبارٍ شديد، فيتعين الانتباه ودوام الحذر.

**قال تعالى : (خُذُوا حِذْرَكُمْ) [النساء:71]**

**وقال سبحانه : (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) [الحج: 78]**

ومن إيحاءات الرباط المستحضرة هنا، الحرص على عدم إيلاج شئ فيه، فكأنه يُعبأ بالخير ومعانيه، ويصان من الشر ومخازيه، فيُربط القلب من جهتين:-

**الأولى : بالحرص على الذكر والعمل الصالح.**

**والثانية : بصيانته وإبقائه نقياً على ما سلف**، وأن لا يلج فيه ما يكدره ويسقمه، إذ إن القلب يتعب ويسقم، ويمرض ويعمى كما أثبت الله ذلك في آيات كثيره كقوله:

**(فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46) [الحج]**

**وقوله : (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ الله) [الزمر: 22]**

**وقوله : (وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) [الأنعام:43**]

**ومن فوائد ابن القيم الجميلة رحمه الله، آن آيتي سورة الحج ذكرت صفات القلوب لبني آدم، وهي القاسية، والمريضة المخبتة، قال تعالى : (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ).[الحج]**

**وفي معنى الربط أو الرباط، حفظ إلهي للقلب من التقلب، والانهزام، والخذلان، بل إنه ليثبت تثبيت الجبال الراسية**، ويصمد صمود الراغب في الموت بلا خور أو استضعاف !!

وهذا كله بفضل الله وتوفيقه، وما يصنعه به، من الأنوار الروحية، والدفق الإيماني والإسعاد النفسي العجيب، فلا يحب إلا الله، ولا يؤثر على محابه البتة، نسأل الله من فضله وإنعامه. (**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) [الصافات**]

وفي غمرة البلاء يستطعم السعادة الإيمانية المذهلة (**قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُكْرَمِينَ (27) [يس]**

## مقويات الرباط

رغم اتساع الابتلاء في الحياة، إلا أن الله تعالى كثر من أنواع الخير والإيمانيات الدفاقة لإنعاش القلب، وإحيائه، بما يجعل عليه رباطاً، يكون حيا بعيدا من كل ردى وغواية.. ويسهم في صفائه وتثبيت رباطه المتين .
ومن ذلك ما يلي :

**(1) تحقيق الإيمان بصدقية عالية :**

فكلما صح الإيمان وصدقه، ضاعف من متانة الحبل المربوط على القلب، وجعل المرء يحس بالثبات والدفء والاستقرار، وهذا الإيمان يستمد قوته من حسن اعتقاده في ربه تعالى ، وأنه خالقه ومصوره والمنعم عليه، وأنه على كل شئ قدير، يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويقدر له، ملك السموات الأرض وما بينهما، وإليه المصير، يؤمن بالله وباليوم الآخر ويمجد الله، ويحمده، ويعبده ويتوكل عليه، (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه).**

ويؤمن بالله وبأسمائه وبصفاته وبالقدر خيره وشره، ومستحضراً كل أصول الإيمان، وأركان الاسلام المعروفة التي بها السلامة العقدية، والصحة الإيمانية، ويعتقد ذلك بكل إيمان واحتساب، ويجدد ذلك في نفسه كل يوم، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الصباح :

(**أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين**).

ويقرأ سورتي الكافرون و الإخلاص في ركعتي الفجر، التي تأتي بعد الاستيقاظ من النوم. واعتبرها براءة من الشرك أي علامة على صحة التوحيد والإيمان،

حيث سمع رجلاً يقرأ (بالكافرون) في صلاة فقال : **(أما هذا فقد برئ من الشرك)** كما عند أحمد والنسائي وهو حديث صحيح، وقال لآخر قرأ الإخلاص**(وجبت له الجنة)**

وهذا الإيمان المحقق اعتقاد يستقر في القلب، تصدقه الأعمال والأقوال وتزيد من قوته وصموده أمام كل الفتن والإغراءات، **ولهذا كان صلى الله عليه يذكر الله على كل أحيانه، كما ذكرت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها**

**في صحيح مسلم. وفي استدامة الذكر** تجديد للايمان وتحقيقه، وإزالة لكل بواعث الغفلة والنسيان .

(2) **حسن الاتباع**

وهو الذي يوحي بمحبة الله ورسله، وإقتفاء سنة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، إذ بها ركوب درب السلامة، وامتصاء صهوة العافية، التي من خلالها سيبحر القلب إلى فضاء النور والحب والسعادة.

فلا يكدّره مكدّر، ولا يلعب به عابث، قال تعالى : **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ الله) [آل عمران:31]**

**قال سبحانه : (وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً) [الجن] فالاستقامة** مفتاح الرزق، وحلول الفضل والبركات.

وقال **تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً (66) وَإِذاً لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً (68) [النساء**].

والموعظة هنا شرائع الله وعاقبتها اتباعها أربعة أشياء :

(أ) حصول الخيرية والفلاح.

(ب) اعتلاء الثبات.

(جـ) نيل الأجر والثواب الموصوف بالعظم.

(د) سلوط الصراط المستقيم.

**وفي آية آخرى تؤكد ثمرات الاتباع الحسن (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) [المائدة]**

فلم يعد الثمرة مجرد الثبات فحسب، بل ثبات مخضوب بتحسين حال، وطيب معاش، ولذة جسمانية، وهذا من فضل الله الكريم.

**(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوهَا)..**

(3) **استمراء الذكر والابتهالات**

يُجدّد الإيمان، ويحيا القلب، ويُحكّم رباطه من الانفلات، باستمرار ذكر الله، واللهج بحبه وبشكره والتوكل عليه.

**قال تعالى : (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (42) [الأحزاب]**

فحينما يزداد الذكر ويتكاثر، يمتد رباط القلب، وتزال القاذروات من عليه، وينبلج انبلاجاً يدل على استنارته وبهائه (**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40) [النور].**
**قال صلى الله عليه وسلم :**
(**أفلا أدلكم على خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فيضربوا أعناقكم، وتضربوا أعناقهم) قالوا: بلى يارسول الله، قال : ذكر الله تعالى)**

**وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى** عنه**:( لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل).**

فالذكر عبادة لا تُضاهي، وهو عامل أساسي وأصيل في حياة القلب، وثباته ورباطة جأشه، وما رسخ القلب، وُعصم من الانحرافات والتقلبات الا بفضل الذكر الدائم، والتسبيح المتصاعد، واللهج المتزايد.
(**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ )(152) [البقرة**].

إن استمراء ذكر الله وتحوله إلى لذة روحية لا يمكن الاسغناء عنها، تفوق حاجة المرء للطعام والشراب، كاف في تجلية القلب، وتقوية عزمه، وإحداث صحوة داخلية ، ترفض الضعف والهوان، أو الانهيار.
إن للذكر تأثيراً عجيباً، وقوة كامنة في تقوية رباط القلب، وجعله منشرحاً سعيداً، يتخطى كل محبه، ويتجاوز كل أزمة، ولا يخشى فتنة أو شهوة.
**قال صلى الله عليه وسلم (ألا وإنَّ في الجسد مضغةًّ، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**).وقال بعض الصالحين **:(مساكين أهل خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها! قالوا : وما أطيب ما فيها ؟ قال : ذكرالله والأنس به والشوق إلى لقائه)**
والله تعالى إنما ينظر إلى القلب وما أُودع فيه من أنساك وخيرات لأنه منطلق الأعمال، وصلاح السلوك، وعنوان صحة المنهج والاتجاه، كما قال**: (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الحج]**
(4) **التطلع إلى ما عند الله**

كما قال تعالى عن بعض أوليائه الصالحين :
(**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**) [ص 46]
فاستغراق القلب بالدار الآخرة، وحبها، وتأمل ما فيها، والاستعداد لها مورث للإيمان، وهو ناتج من نواتج التدين الصادق، وعمل المحاسن ، ومن عواقبه المستحبة الجميلة، هجر الدنيا بلذائذها المختلفة، والانشغال عن مفاتنها الباهية، وزهراتها الغانية....
وهذا ما حصل لأهل الكهف المؤمنين المخبتين، حيث هجروا دنياهم، وأعرضوا عما هم فيه من الزينة والكمال والأبهة، لما استقر الإيمان في قلوبهم، وباتوا لا يفكرون إلا في حب الله، وإخلاص العبادة له والتطلع إلى ما عنده من النور والنجاة، وحصد المغانم. **(عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108) [هـود]**
وإنما يتطلع العبد إلى ما عند الله، رغم فتن الدنيا الوسيعة، إذا كبر في قلبه دين الله وصغرت عنده الدنيا بأشكالها، وأنها كفئ الشجرة، وكالمتاع الزائف، واللذة الحينية، والمتعة الخاطفة.
وتأمل قبح الدنيا ورداءتها وانقلابها بأحبابها، يورث مثل ذلك، أضف إلي تأمل القرآن حق التأمل من استحضار وعده وعيده، وفهم قصصه وبيانه، واستدامة قراءته والنظر فيه، قال تعالى :
**(قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) [يونس]**

## (5) **التباعد عن الفتن والمكدرات**

بمعنى أن تطلب الخيرات ومحبتها، يقتضي صيانة النفس وإبعادها عن الفتن والمعاصي، ولو فضول النظرات، واستحلاء الخطرات والهمسات، لأن مثل تلك الصغائر تتراكم على العبد حتى تهلكه، وتلجئه إلى المجاسرة الحقيقية، فيضعف نشاطه العملي، وسعيه الإيماني.

والقلب المطمئن ينكشف له ذلك سريعا، كما قال بعض السلف **(إني لأرى أثر المعصية في خلق زوجي ودابتي)**

والمعنى تغير المعاملة، وانعدام التوفيق، وتكدر الأعمال، وكثرة المعوقات والصعاب.

**قال تعالى (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) وقال سبحانه (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)**

فكما أن العمل الصالح يشحذ الرباط ويقويه، فكذلك ترك الفتن ودواعيها يشحن وقود الرباط، ويزيد من سلامته وقوته.

وتلكم الفتن غالباً ما تُغلَف بغشاء سحري جذاب، يفتك بالمرء، ويدخله في دوامِة من القلق، والهم، والتفكير، فإذا أطاع هواه، وانصاع للنفس الأمارة، نُكت في قلبه نكتة سوداء، كان لها ما بعدها من استرخاص الفتن، وربما استحلائها واستسهالها.

وقد جاء في صحيح البخاري عن أنس رضى الله عنه قوله :

**(إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله من الموبقات أي المهلكات).**

وهذا قد يكون من أسبابه، انتشار الفتن وغلبتها على الحياة العامة، توافق ليونة من القلب المسلم، حيث يزين له الشيطان سهولة ذلك وعصامية نفسه، فيجالس أهلها ويشامها حتى تعتاد النفس عليها وينسى ضرورة التوقي والتباعد كما قال تعالى :

**(وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً (72) [الفرقان]**

**وقوله تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) [القصص:55].**

وكما من ذي قلبٍ صافٍ راسخ، استرخص تلك الفتن والمكدرات واستهان بها نظراً، أو سماعاً، أو مجالسة، فإذا به بعد مدة، لا يكرهها ولا يتضايق منها ، وربما رخص في شئ منها، لا سيما اذا كان عالماً بالحلال والحرام، بل يسوغ ذلك بالأدلة الشرعية والعقلية.

ويشبه ذلك الظاهر في القنوات الخليعة... في البداية يظهر شديداً عنيفاً، ثم بعد مدة يستسهل ذلك، ويتكيف معها، إذ يجيز بعض فعائلها المنكرة وهو لا يشعر، ويؤزة على ذلك سياسة الانفتاح المركوزة في ذهنه، والمرحلة الجديدة وحسن التكيف مع معطيات العصر، أو هذا المتاح لنا، وفيها مكاسب والله المستعان.

(6) **الوعي القرآني وتدبره**

**قال تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17) [القمر]**

لقد كانت النعمة بالقرآن على هذه الأمة أجل النعم، ولا تضاهيها نعمة، حيث جعله الله مصدر الهداية، ومنبع النور والوقاية، وأفاض فيه من أنوار رحماته ونفائس بركاته، بحيث لا يتلوه تالٍ إلا انتفع به، ولا يتمسك به مستمسك إلا شد وثاقه، وزاد من ثباته ورباطه.

وجعله تعلى موطناً للشفاء، وحل المعضلات، ودرء الأسقام والشبهات كمال قال:

**(قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) [يونس]**

**ويتصور في هذه المنن الأربع ما يأتي :**

1- موعظة تكسر جماح ف النفس، وتهذبها بالشرائع والبينات.
2- شفاء، تحل به عقدة البلاء ويصفو به كل صدر سقيم، وتحيا به كل نفس شاكية.
3- هدى، تتمايز به الطرق، وتصحو البصائر، وتنكشف الشبهات.
4- ورحمة، تفيض أطيب الرزق والخير والنماء، وتصون من كل سوء وبلاء وغائلة.

فالعيش في جو كتاب هذا وصفه، خليق أن يحيي هذا القلب، ويربط على لب صاحبه، ويُجعل في أمان من الشبهات والشهوات، حيث امتلاؤه بالرسائل والبينات، والسير والتجربات والمواعظ والمثبتتات، فكل ما تشاهده وتبتلى به في حياتك، تلقى في القرآن طبّه ودواءه، فهلم إلى كتاب متين جليل، وعش حلاوته بالتدبر والتأمل، وانس ما أنت فيه **(كِتَابٌ أنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (29) [ص]**

**وقال سبحانه : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24) [محمد]**

## **ثمرات الرباط القلبي**

هنا وقد بدا للمؤمن عظمة الرباط ومواده ومزاهره الموثقة له، لابد وأن يعي أن الثمار، عظيمة والعواقب جمّة، تفوق الوصف، وتتجاوز الخيال.

لأنها وبكل بساطة استعصام بالله تعالى، وتقوية للصلة بين العبد وربه، والاستهانة بعبث الحياة وتقلباتها...

ومن ذلك :

**(1) تحقيق الثبات الراسخ :** حيث تتحول قطعة اللحم الهينة إلى كتلة صماء عنيدة، تتأبى على الانهيار من جراء العواصف والبلايا والأشواك، بل كأنها حائط لا تهزه الضربات، ولا تخيفه النوائب على مر الدهور والأيام.

**(2) استحلاء الصبر، والاستعلاء به في كل موقف، وعند كل حادثة :**

وقد قيل (**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ**) أي قويناهم بالصبر، وألهمناهم العز، ومن يبلغ حلاوة الصبر يصب كبير المغنم ، ولذيد المسعد، ويرضى بقدر الله، ولا يبالي بتقاعس من حوله، أو خذلان إخوانه له، لأن الشدة لا تزيده إلا صبراً وحلاوة.

**(3) الشجاعة الروحية الدفاقة :**
وهي الباعثة على العمل والمواجهة، وكشف الباطل والتصدي لأهله، وهي ليست شجاعة الأسلحة الملقاة من مكان سحيق، ولا الكلمات الضخمة المتعالية، بل إنها روح وثابة، وقلب متحرك، وتحدٍ شديد لكل تبديل أو انحراف أو شهوة، قد كتب الله في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، فلا يهابون ولا يتضعفون كما قال :
**(فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ الله وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا) [آل عمران:146]**

**(4) القوة الايمانية الكامنة :** التي تستقر في جسد ضعيف، أو هيكل مهين هزيل، ولكنها تجعله مهيباً في عيون خصومه، فيهابونه أشد من هيبتهم الوجهاء والجنود، ويحسبون حسابه، رغم ما هو عليه من البساطة الواضحة، والضعف الظاهر، وهي العزة الجليلة المهداه من الله لعباده المؤمنين **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون:8].**

**(5) الطاقة العملية:** المفعمة بكل أسلحة الصبر، والتحدي، والرفض، والإباء، التي يتحراها المؤمن، إبان الفتن والبلاءات (**إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) [الكهف:14]**

**(6) السداد القولي والعملي :** وهو جوهر التوفيق، فلا ينطقون إلا حقاً، ولا يبثون إلا نوراً، بفضل ما يحملون من نور **وهدايات (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً (14) [الكهف]**
وقال سبحانه في قصة أم **موسى (لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ (10) [القصص]**

**(7) تساقط الفتن أمامه:** تحاول الفتن ولوج القلب، فيدفعها الله عنه، بفضل مكنون قلبه المشرق، وبهيج نوره المخبوء، الذي يستعلي به على كل فتنه وشهوة، ويصدها بقوته وشجاعته.

**(8) اليقظة الدائمة :** التي تُضاد الغفلة، والنسيان أو الإهمال والانشغال، بل يستحضر المؤمن برباطه المحكم، أنه في رباط على الإيمان وأصله، لا يُخلص إليه، فكل على ثغر للدعوة والإيمان، يجب عليه المدافعة والرفض بكل قوة

وبسالة، وهذا يتأتى بدوام الذكر، والإنابة، والمراقبة للمولي الكريم سبحانه وتعالى.

**(9) العمل الدؤوب:** حيث لايزال الإيمان طرياً، والاحساس متدفقاً، ينبض بحب الله والغيرة على دينه، والشفقة على جاهلية الخلق **وانحرافاتهم (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً (6) [الكهف]** فوجدانية الأسف العميق، لاتزال حاضرة في اللب الصدري، ولا مكان يذكر للإحباط، أو التقاعس والانهيار الذاتي.

بل لو لم يبق من الثابتين الرابطين على القلب الاسلامي، الإ فرد واحد لرأيته قائماً مسارعاً إلى الدعوة والخير والعلاء.

**(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) [البقرة:63]**

**(فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ)**.

**(10) السرور الإيماني:** والذي يزيد من عملية الصبر، والدفع والمقاومة، ويبعث في النفس الأمل والتفاؤل، ولو قلّت العدة والعتاد، وهان الأحبة والإخوان، إن للإيمان حلاوة، وللثبات ضعفها، وللصبر أضعافها وأمثالها، لأن الربط إلهي، وليس من صنع البشر، يفيض به الله تعالى من يشاء من عباده، فيربهم من أنوار رحمته ونسمات جنته، ما يجعلهم في غنى وسرور عما في أيدي الناس من متاع وزينة وزخارف.

**وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في سجن القلعة سنة (728هـ) (والله لو بذلت لهم قدر هذه القلعة ذهباً، ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير)**

**وفي القرآن العزيز (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) [النحل]**

**(11) المحنة المنقلبة :** أي حتى مع أشكال البلاء، وشراسة العقاب المبذول من الظلمة وأعوانهم، لا يكاد المؤمن الثابت والمربوط على قلبه في وعاء الايمان والتقوى، يحسَّ بشئ من آلام الشدة، بل ينقلب الشدة فرحاً، والضيق سعةً، والبكاء ضحكاً وسروراً، ويجعل الله ظلمات العذاب والسجن والتنكيل على قلوب أوليائه، برداً وسلاما، ولذةً وحنيناً.

وهذا من أسباب تجاوز يوسف عليه السلام لمحن السجن، وثناء السجناء عليه (**إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ**) فلو لم يكن ثمة سرور وانشراح، لما بان لهم إحسانه ولطفه وجماله.

**(12) السلامة من الآفات**: إذ ُتشغل النفس باللذائذ الإيمانية، والمنائر التعبدية، ويصلب عودها وتنضح ثمرتها، فلا يكون لها تطلع إلى ما يغضب الله بل تُطبع على حب الطاعة، وكراهية المعصية، رغم غزارة الفساد المبثوث ومراغمة الشر المنتشر، ولكنها قلوب صُبغت بحب الله واشتاقت لقربه وولايته، فهان عليها ماترى، من متع دنيوية وأغاريد مؤقتة لا تشرح قلباً، ولا تجلب سعادة **(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) [الزخرف].**

**(13) الشغف المتزايد :** حيث تصير النفس المؤمنة في جنة من السرور والحبور، وتطمع إلى فضل الله ونواله، فتضاعف من خيرها لتعظم بركتها، ويشتد ثوابها، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وكانوا يتقون.

**إذا كان حُبَّ الهائمين من الورى ..... بـليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا**

**فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي .... سرى قلبه شوقاً إلى العالم الأعلى**

ولهذا حينما يسمع المؤمنون سير الصالحين، وصفات الجنة ونعيمها، يدعوهم ذلك إلى الصبر، وشدة التمسك، وكثرة العبادة والابتهال.

**(14) كسر الظالمين :** لا يلين الظلمة ولا يفزعون، من مثل ثبات الصالحين، ورسوخ الطيبين، حيث أنهم يضجون من ذلك كثيراً، ويحسون بالمذلة والهزيمة، لأن أشد ما يفعلونه السجن والحصار، وأبشع ما يصنعون القتل، والأولى عزة وشرف، والثانية حسنه جميلة، وهي الشهادة العزيزة.(**الله أكبر فزت ورب الكعبة)** كما قال حرام بن ملحان رضي الله عنه **.**

ومهما تمادى الظالم فسينكسر حتماً مع تزايد الثابتين، ونقمة الراسخين الرابطين، وستتعالى شعبية أهل الإيمان، وينمو قبولهم، المؤذن بدولة الأخيار، وانتهاء **الأشرار (كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21) [المجادلة]**

**(15) الاشعاع الملهب :**

فحتى ولو قُضي على الدعوة وأربابها من حملة الإيمان الثابتين، فستبقى ذكرياتهم الإيمانية ورسوخهم المبدئي، منارة إشعاع للأجيال، ومدرسة تتربى عليها الناشئة، وكل القراء والمتأملين..

**كما قال القائل :**

**وكلُّ دمٍ يجري سينبت ثورةً**
**كما ينبتُ العشبَ الغيوثُ السوافحُ**

إن الناس لا يزالون يتذكرون سير أرباب الرباط القلبي فيحنون إلى ذكراهم، ويتأسون بأخبارهم وقصصهم، ويروونها للأجيال بكل فخر واعتزاز، من أمثال الصديق والفاروق وعثمان وعلي، رضى الله عنهم وسعيد بن جبير وابن المسيب والأوزاعي والزهري وابن حنبل والبخاري والعز بن عبد السلام، والمنذر البلوطي، وابن تيمية وابن القيم وابن رجب، والبنا وسيد قطب رحم الله الجميع، وأسكنهم فسيح جناته.

**اللهم اربط على قلوبنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين**

**وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه**

**الفهرس**